ضعف الترويج للعرفان الشيعيّ: عامل هامّ في انتشار العرفان الكاذب

ترجمة عليّ الحاج حسن

المفردات المفتاحيّة: العرفان؛ العرفان الكاذب؛ المعرفة؛ الميل؛ العشق؛ الشهود؛ المقدّس؛ الجذب؛ القرب.

الرجاء تقديم تعريف مختصر للعرفان، والحديث عن المقصود منه عندما يجري الحديث عن العرفان في المجتمع.

الأشكوري: العرفان ظاهرة عالميّة، وهذا يعني أنّكم ستلاحظون وجود ميول نحو العرفان في الثقافات والأديان والسنن كافّة، وفي مختلف نقاط العالم الجغرافيّة، وفي المراحل كلّها تقريبًا، ما يعني أنّ أصول هذا الميل أصول فطريّة في الوجود الإنسانيّ. فهو ليس نتيجة ثقافة معيّنة، أو تعاليم خاصّة.

إنّ عالميّة العرفان وشموليّته كانتا الباعث لوجود أشكال من العرفان في مختلف المجتمعات، بدءًا من التقليديّة ووصولًا إلى الحديثة. يشبه هذا التعبير ما نعتقد به في معارفنا الدينيّة عندما نقول إنّ الميل نحو الله تعالى أمر فطريّ. والميل نحو الله، ومعرفة الله، أمور موجودة في باطن العرفان. والحديث، إذ ذاك، يكون في المسير الذي يتحرّك فيه، حيث سيتأثّر بالعقائد والثقافات الخاصّة، إلّا أنّه في الأصل عبارة عن شعلة تضيء الوجود الإنسانيّ بشكل فطريّ. وهو نوع من عشق الحقيقة؛ عشق الله وعبادته، والميل نحوه ومعرفته.

إنّ وجه امتياز العرفان عن باقي الميول والمعارف هو كونه سُرّانيًّا. يُبحث في الإلهيّات، وفي مختلف مجالات الدين عن الميل نحو الله والمعنويّات، إلّا أنّ ما يميّز العرفان، كونه سُرّانيًّا داخليًّا. كلّنا يمتلك معارف حسّيّة ظاهريّة وهي مشتركة بين البشر، كلّ البشر، تقريبًا. وقد وصلت إلينا بعض المعارف عن طريق النقل، والدين، والوحي. لا تعدّ هذه الأمور جميعها عرفانًا بمفردها. فالعرفان، حقيقةً، نوع من المعرفة الباطنيّة والداخليّة. طبعًا، لهذا الأمر ظهور خارجيّ في فكر الإنسان، وأعماله، وحياته. مثال ذلك أنّنا نمتلك في سنّتنا عرفانًا نظريًّا، وآخر عمليًّا. تعبّر هذه الأمور حقيقةً عن التجارب والنتائج الخارجيّة والاجتماعيّة لذاك الجزء من العرفان ذو العلاقة بالحياة، وطريقة الحياة.

وصفوة القول إنّ العرفان ميل باطنيّ، ونوع من المعرفة تمتدّ جذورها إلى معرفة الله، إنّ هذا الأمر إنسانيّ عامّ، لا يمكن حدّه بثقافة خاصّة.

تارةً يعبّرون عن العرفان بأنّه ميل، وأخرى بأنّه معرفة، فأيّ منهما أصل، وأيّهما فرع؟

الأشكوري: كلّا، الأمران صحيحان. وهما أمران غير منفكّان عن بعضهما بعضًا في العرفان. بمعنى أنّه لا يمكن تصوّر معرفة الله العرفانيّة من دون الميل نحو الله وعشقه. قد تمتلكون معرفةً فلسفيّةً بالله، ولكن ما من ميل في هذه المعرفة. ليست هذه المعرفة من المحبّة والعشق بمكان، بل معرفة بالله فحسب. ولكن بما أنّ العرفان له علاقة بالقلب، والمشاعر، وباطن الإنسان، وهو موجود في باطن الإنسان، لذلك لا يمكن الفصل فيه بين الأمرين، وهذا يعني أنّهما وجهان لعملة واحدة، ووجهان لحقيقة واحدة. فالمعرفة والميل ركنان للعرفان، لا ينفكّان عن بعضهما. ولا يمكن أن تنفصل المعرفة العرفانيّة عن المحبّة والعشق. ثمّ إنّ الحديث حول العشق في العرفان، والادّعاء بأنّ العرفان معرفة، يدلّ على أنّهما على علاقة وطيدة ببعضهما بعضًا، ذلك أنّ المعرفة العرفانيّة معرفة شهوديّة، والمقصود من الشهوديّة، الملاقاة المباشرة مع الله تعالى ومظاهره، وبما أنّ الله جميل ومظاهره جميلة، وأنّ أنواع الجمال كافّة قد اجتمعت فيه، فهو مصدر كلّ الجمال، وهو المطلق. وبالتالي ليس بالإمكان ملاقاة هذه الحقيقة من دون محبّة وعشق، ومن ثمّ تنبجس العبوديّة التي تحصل، شيئًا فشيئًا، في محضر ذاك الكبرياء الإلهيّ. تلك الملاقاة هي عين العشق والمحبّة.

وهنا مسألة عجيبة وظريفة، فالظاهر أنّ العشق والخشية متضادّان، لأنّ الإنسان لا يعشق الشيء الذي يخافه، والعكس صحيح، فهو لا يخاف من يعشقه. ولكن اجتمع العشق والخشية هنا في آن، وعلى هذا الأساس يصبح هذا الخوف نوعًا متعاليًا من الخشية، وهو حضور أمام حقيقة لا متناهية. بسط المتكلّم الألمانيّ الكبير رودلف أوتو، مؤلّف كتاب **فكرة القدسيّ**، لهذا الأمر، فقال إنّ للتجربة الدينيّة عنصران، فهي جذّابة، وصاحبة هيبة في آن. تحصل الجاذبيّة بسبب جماله، والهيبة بسبب كبريائه، والإحساس بالصغر أمامه، وكلاهما نتيجة المشاهدة والمعرفة.

والخلاصة أنّ الميل والمعرفة غير منفصلان عن بعضهما في العرفان الحقيقيّ عندما يشارف السالك جوهر العرفان. ولا ينفكّ العشق عن العمل، بل هو الذي يؤدّي إليه.

بعد هذا التوضيح، هل يمكن القول بأنّ ما يقدَّم في المحافل العلميّة والأكاديميّة، في قالب بعض الاصطلاحات والدورات التعليميّة، ليس عرفانًا، بل معرفةً؟

الأشكوري: ثَمَّ أمران: (1) علم العرفان، و(2) حقيقة العرفان. قد يكون المرء من أهل العرفان، وهو غير عارف بهذه الاصطلاحات، ولم يطالع كتب العرفان، لا بل قد يكون عاجزًا عن تدريسها، إلّا أنّه وصل إلى تلك الحقيقة. فالعرفان في الحقيقة هو تلك الملاقاة، وذاك السلوك، وتلك التجربة الباطنيّة.

دوّن العرفاء طوال التاريخ تجاربهم والنتائج الباطنيّة التي وصلوا إليها، ثمّ جُمعت تلك المدوّنات، إذ بدؤوا في مرحلة لاحقة بتحليلها، والتفكير فيها، وقدّموا، في بعض الحالات، أدلّةً عليها، فتحوّل العرفان مذ ذاك إلى علم. والعرفان النظريّ عبارة عن تجزئة شهود العرفاء وتحليلها، وهو كالفلسفة، أو كأيّ علم آخر. ليس من الضروريّ أن تكون عارفًا أو معتقدًا بالعرفان إذا أردت أن تصبح أستاذًا في العرفان النظريّ؛ لأنّ ذاك بحث شبيه بالفلسفة، من حيث هو بحث ذهنيّ، فقد تقرأ كتابًا حول السباحة، أو تسلّق الجبال، مع أنّك لم تسبح، ولم تتسلّق الجبال يومًا، وقد تكون عالمًا بكلّ ضوابط السباحة وقوانينها، إلّا أنّك لن تصبح سبّاحًا بذلك. بلى، تصبح سبّاحًا عندما تنزل إلى حوض السباحة، وتبدأ بممارسة السباحة، وقد تكون سبّاحًا ماهرًا إلّا أنّك عاجز عن بيان مراحل السباحة. فتقول عملي هو السباحة، لا البحث حولها. قد يكون عملنا العرفان تارةً، وأخرى حول العرفان: أمّا عمل العرفان فهو البحث في العرفان، وأمّا عمل العرفاء فهو الغوص في ذاك السلوك.

بناءً على ما أشرتم إليه، يحتاج العرفان إلى اعتقاد، فكيف يمكن القول بأنّ المجتمعات البشريّة كافّةً تمتلك نوعًا من العرفان، علمًا أنّ بعض الناس في الدنيا ملحدون، أو لا يعتقدون بما وراء الطبيعة، فكيف يمكن تصوّر العرفان عند أصحاب الاتّجاه المادّيّ؟ أي ما هي النسبة بين العرفان والدين؟ هل يجب أن يكون العارف متديّنًا أم لا؟ وهل يمكن تصوّر نسبة أخرى؟

الأشكوري: أشرت سابقًا إلى أنّ الميل نحو العرفان ظاهرة عالميّة. ويُطلق على كثير من الظواهر والسلوكيّات والاعتقادات بأنّها عرفانيّة. ولكن هل هي عرفان حقيقيّ، أم عرفان أصيل؟ وهل تمتلك قيمةً واحدةً؟ فهذا بحث آخر.

نعم، يمكن أن يكون الميل عالميًّا، لأنّه مبنيّ على فطرة معرفة الله، لذلك اعتبرناه عالميًّا. يتّضح الجواب عن هذه المسألة عندما نحلّل العرفان الإسلاميّ، فنحن نعترف بوجود الفطرة. والفطرة موجودة عند البشر، كلّ البشر، والفرق يكمن في أنّ لها ظهورًا قويًّا في مكان، وضعيفًا في آخر. وكذا نعتقد بأنّ الفطرة موجودة حتّى عند الإنسان الملحد، إذ هو يمتلك فطرة البحث عن الله، قد تظهر في لحظة معيّنة من حياته وطبق ظروف خاصّة، كما أنّها قد

تختفي وتزول على إثر أحداث الحياة، أو الثقافة، أو التعليم والتربية، أو أيّ أمر آخر. وبالتالي فإنّ المستوى الأدنى المطلوب للعرفان هو الميل و النزوع نحوه تعالى، وهذا هو حال الإنسان.

يمكن الحديث عن ظاهرة ما باسم العرفان بمقدار ظهور معرفة الله وبروزها فيها، وبمقدار ما تحقّق من ميل نحوه تعالى. لا يظهر هذا الاستعداد في كثير من الحالات. ولكن متى يظهر العرفان، أي متى يثمر ذاك الاستعداد؟ يعزى هذا الإثمار إلى الظروف المختلفة. وكذا يمكن الحديث عن الفلسفة: أليس التفكير خاصّيّةً ذاتيّةً للإنسان؟ ومع ذلك ليس كلّ إنسان مفكّر وفيلسوف. يتمتّع الناس جميعًا بالحدّ الأدنى من التفكير، إلّا أنّ ظهور التفكير، وبروزه، وتفتّحه، يحتاج إلى أرضيّة وإلى شروط عدّة، ويتطلّب تمرينًا، وتعليمًا، وأسلوب حياة خاصّ.

نحن نؤمن بأنّ العرفان الصادق هو البعد الباطنيّ للدين؛ أي إنّ الدين والعرفان أمران لا ينفصلان عن بعضهما بعضًا. والدين يحتوي على بعد عرفانيّ كذلك. يطرح البعض أسئلةً من قبيل: ما هي النسبة بين الدين والعرفان؟ فيجيب آخرون بأن لا تناسب بين الدين والعرفان! حتّى أنّ بعض المتديّنين يعارض العرفان. وهذا الجدال موجود عند المسلمين والمسيحيّين على السواء.

لطالما كان العرفاء في الأديان الثلاثة أقلّيّةً، وكانوا في كثير من الحالات يتعرّضون للمضايقات على يد بعض المتشرّعين الذين كانوا يعتبرون العرفان منافيًا للدين. وفي المقابل نجد العلمانيّين الذين يعتقدون بأنّ العرفان لا يتناسب مع الدين فيميلون إلى العرفان، ويرفضون الدين. يعتقد هؤلاء بأنّ في العرفان نوعًا من التعدّديّة، والتساهل، والتسامح، وهو غير موجود في الدين. كما أنّهم يعتقدون بأنّ في العرفان عناصر غير موجودة في الدين، من مثل الإباحة، وفقدان التكليف، والرؤية الجماليّة للعالم، وهي أمور جذّابة في عيون العلمانيّ. يعمل هؤلاء على فصل العرفان عن الدين، كما يتحدّثون عن عدم وجود تناسب في ما بينهما.

ونحن نقول، بناءً على سنّتنا وكتبنا الكلاميّة، إنّ للدين أركانًا ثلاثةً، هي العقائد، والأخلاق، والأحكام. وهنا يسأل المخالف للعرفان أين مكان العرفان، علمًا أنّ هذه أركان الدين لا غير؟ فكلّ آي **القرآن الكريم** تتعلّق بالعقائد، أو الأخلاق، أو الأحكام. كما أنّ المراد بالقصص التاريخيّة القرآنيّة العقائد والأخلاق.

تقع هذه الأركان الثلاثة في عرض بعضها بعضًا، والعرفان ليس ركنًا رابعًا. لا يمكننا القول بأنّ في الدين عقائد، وأخلاق، وأحكام، وعرفان. فالحقّ أنّ العرفان هو البعد الباطنيّ للدين، وهو الجزء الطوليّ لا العرضيّ. ولكلّ ركن من هذه الأركان الثلاث باطن. فللعقائد باطن، وللأحكام باطن، وكذا للأخلاق. أي قد نفهم

العقائد في مستوًى ظاهريّ، فقد نتعلّم حقيقةً ما بواسطة العلم الحصوليّ (العلوم النقليّة والظاهريّة)، إلّا أنّنا نرغب تارةً أخرى بإدراك تلك الحقيقة عن طريق الشهود القلبيّ، وهو ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام، عندما قال: "عيون القلوب لا عيون الأبصار"، وهذا هو باطن الحقيقة. إذًا، يمكننا شهود الحقيقة التي نعتقد بها في أذهاننا شهودًا قلبيًّا. تحدّث الدين عن هذا النوع من المعرفة تحت عنوان "الرؤية". وفي هذا السياق يقول الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام: "لم أعبد ربًّا لم أره"[1].

وهذا هو الحال في ما له علاقة بالأحكام. وللأحكام ظاهر: ففي الصلاة، على سبيل المثال، نؤدّي أعمالًا وحركات خاصّة، إلّا أنّ لهذه الأعمال بعينها باطنًا.

بلى، يحضر القلب عندما يلهج لساننا بذكر الحقّ وتتحرّك جوارحنا في آن، فحين يشارك القلب في الصلاة تصبح صلاةً عرفانيّةً. فالصلاة العرفانيّة لا تنافي ظاهر الصلاة العاديّة؛ أي إنّ العرفاء لا يأتون الصلاة بشكل آخر غير ما نأتي به نحن. يصلّي العرفاء صلاة الصبح بركعتين اثنتين تمامًا كما نفعل نحن، أمّا المائز فيكمن في كيفيّة العبادة. فقد تكون كمّيّة عبادة رجل ما أكبر من كمّيّة عبادة العارف، إلّا أنّه لا يمتلك ذاك المعنى وذاك الحضور، وتلك الدرجة من الإخلاص. وعندما يقال على سبيل المثال: "ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين"[2]، لا لأنّ القوّة الفيزيائيّة لسيف عليّ، عليه السلام، تركت أثرًا أكبر من الآخرين، بل هو ذلك الحضور القلبيّ لإمام قال فيه مولوي يومًا: تعلّم من عليّ الإخلاص في العمل، واعلم أنّ أسد الله منزّه من الدغل[3].

ليس صحيحًا ما يعتقده بعض الناس بأنّ للعرفاء أذكارًا لا يلمّ بها آخرون. فلا وجود في الكون لذكر أكبر من "لا إله إلّا الله"، فلا تختلف "لا إله إلّا الله" التي ألهج بها عن "لا إله إلّا الله" التي ينطق بها العارف.

وهذا حال الأخلاق كذلك. تحكم الأخلاق الظاهريّة العلاقات الإنسانيّة وترعى احترام الآخرين، ولكن عندما ننظر إلى الأخلاق بعين العرفان، فإنّنا نرتقي بها إلى ما هو أبعد من بعدها الظاهريّ، فنتحدّث عندها عن ضرورة وجود حبّ الخلق في أعمال الإنسان. ما يعني أنّ العارف، ولأنّه محبّ للخلق وعبد لله، فهو يعتبر، بحكم

---

[1] محمّد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، الجزء 8 (قم: منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، لا تاريخ)، الصفحة 256.

[2] محمّد صالح المازندراني، **شرح أصول الكافي**، الجزء 13 (بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 2000)، الصفحة 413.

[3] "از عليّ آموز اخلاص عمل، شير حقّ را دان منزّه از دغل".

ذلك، أنّ الناس مظاهر الله. ولهذا السبب إيّاه كانت عبادة العرفاء عبادةً حبّيّةً أشارت إليها أحاديث الأئمّة، عليهم السلام، ووضّحها الكثير من العرفاء. يقسّم الإمام الصادق، عليه السلام، العبادة إلى أقسام ثلاث، فيقول: "إنّ العباد ثلاثة، قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفًا فتلك عبادة عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبًّا له فتلك عبادة الأحرار"[4].

لا غرو أنّ الذي يعبد الله انطلاقًا من محبّته فالجنّة نصيبه، وهو بعيد من النار، إلّا أنّ ذلك ليس غاية آمالهم. بالطبع يجب الإشارة إلى أنّ العبادة طمعًا بالجنّة وخوفًا من النار هي ذات مقام عال، ولا يمكن اعتبار مقامها دان. أجل، هو مقام متدنٍّ نسبةً إلى الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام.

هل هذه الرؤية مختصّة بالإسلام أم أنّ الأديان الأخرى تقول بها؟ وبعبارة أخرى كيف هي النسبة بين الدين والعرفان في الأديان الأخرى؟

الأشكوري: نحن نعتقد بوحدة أصل الأديان الإلهيّة، وأنّ الله تعالى أرسل كثيرًا من الأنبياء مذ بدء الخلق إلى ظهور الخاتم، صلّى اله عليه وآله، وجميعهم يدعون إلى الدين الحقّ، وكلّهم يتحدّث عن عبادة الله واجتناب الطاغوت. وبالتالي لم يختلف أنبياء الله، ولم يؤسّسوا لمذاهب متعدّدة، بل قدّموا تعاليم تتناسب والظروف الزمانيّة التي جاؤوا فيها، لذلك لم يكن ثَمَّ عدم تناسب قطّ بين تعاليمهم . أوّلًا لأنّ روح هذه التعاليم واحدة، وهي الدعوة إلى التوحيد، وثانيًا لأنّ الاختلافات الجزئيّة بينها تُعزى إلى اختلاف ظروف الزمان والمكان، وهي تتمحور حول الأحكام، لا العقائد. أمّا الاختلاف في العقائد فهو اختلاف في درجات التعليم، وهذا يعني أنّه من الممكن أن يقدّم الله تعالى للأنبياء السابقين مستوًى من المعارف، ويقدّم مستوًى أعمق من ذلك للرسول الخاتم، صلّى الله عليه وآله. لذلك من المحال وجود عبارتين عقائديّتين متعارضتين في الأديان الإلهيّة، لأنّ العقائد تبيّن الواقع، والله لا يقدّم الواقع بنحوين متعارضين. نعم، قد يوضح الله واقعًا في مكان وضوحًا أعمق وأوسع ممّا يوضحه في مكان آخر، ولذلك سيكون هذا الاختلاف طوليًّا لا عرضيًّا. ومن هنا، فنحن نعتقد بأنّ المسيحيّة الأصيلة دين الله كذلك، وهي ذات ظاهر وباطن، كليهما. أمّا باطن المسيحيّة الأصيلة وباطن اليهوديّة الأصيلة وباطن الإسلام فلا غير واحد. ولكن عندما يقع الدين في أيدي البشر تطرأ عليه العوارض البشريّة. فقد تمتدّ أيدي البشر إلى

---

[4] محمّد باقر السبزواري، **ذخيرة المعاد**، الجزء 1 (بيروت: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، لا تاريخ)، الصفحة 24.

الكتاب المقدّس، وقد يخطئ البشر في إدراك الدين وتفسيره وفهمه. وهذا هو حال العرفان الإسلاميّ. فثَمَّ عرفان إسلاميّ، والمسلمون يمارسون أشكالًا متعدّدة من العرفان.

صحيح أنّ منابع العرفان الإسلاميّ تعود إلى **القرآن الكريم** وإلى المعصومين، عليهم السلام، إلّا أنّ أشياءً قد أضيفت إليها، وحذفت منها أخرى. وقد يقدم بعض المفسّرين على تقديم تفسير خاطئ لها.

من هنا كانت الإشارة إلى أنّ العرفان باطن الدين، وإذا كان ظاهر الدين قابلًا للتعرّض لسوء الفهم والتغيير على يد البشر، فكذلك باطن الدين، إذ قد يعجز البشر عن فهمه وإدراكه إدراكًا صحيحًا، فيقدّمون له تفسيرات عدّة.

هلّا تتحدّثون باختصار عن أنواع العرفان الرائج في الخارج، لا سيّما ما يطلق عليه العرفان الشيعيّ، فهل يختلف العرفان الشيعيّ حقيقةً عن أنواع العرفان الأخرى؟

الأشكوري: ثَمَّ سنن عرفانيّة عدّة رائجة. لدينا مجموعة من السنن العرفانيّة الشرقيّة، من مثل الهندوسيّة والبوذيّة، وغيرها، وأنواع أخرى من العرفان تلقى رواجًا في الصين، واليابان، والهند، ومجموعة دول الشرق. يختلف هذا العرفان اختلافًا جوهريًّا عن عرفان الأديان الإبراهيميّة والتوحيديّة (الإسلام، والمسيحيّة، واليهوديّة). ومثال ذلك أنّ هذه الأنواع تقدّم الله بشكل مختلف تمامًا عن الأديان الإبراهيميّة. تتحدّث هذه الأنواع، أحيانًا، عن الله تعالى بما قد يؤدّي إلى الشرك، أو عدم الاعتقاد به. وبعض الفرق البوذيّة لا تتحدّث عن الله تعالى على الإطلاق، أمّا الهندوسيّة فتعترف بوجود الله، إلّا أنّها تتحدّث، تارةً، عن آلهة متعدّدة، وأخرى عن الإله الجامع للآلهة. يصرّ البعض على القول بأنّ جذور هذه الأديان تمتدّ إلى الأديان الإلهيّة، إلّا أنّها أصبحت اليوم، في الواقع، بعيدةً عنها. ويقابل هذه الأديان العرفان الوحيانيّ الموجود في المسيحيّة، واليهوديّة، والإسلام.

يضاف إلى هاتين المجموعتين أنواع العرفان الخارجة عن كلّ سُنّة ودين، والتي يطلق عليها اسم العرفان الفرديّ. أشرنا سابقًا إلى أنّ معرفة الله فطريّة. فأفلاطون، على سبيل المثال، كان عارفًا وفيلسوفًا، ولم يكن مسيحيًّا، ومع ذلك فهو موحّد، وكان من أصحاب السير والسلوك وتهذيب النفس، ما يؤكّد أنّ الإنسان الذي

يعمل بمقتضى فطرته قد تتّضح له الحقائق، حتّى لو لم يصل إلى الدين الإلهيّ. ولما كان الله تعالى يشاهد العمل المخلص والعبادة المخلصة، يصدق قول: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[5].

يجب أن لا نطلق اسم العرفان على المدارس المعاصرة التي تحمل اسم "العرفان"، إذ لا حديث فيها عن الشهود، ولا عن التجربة الباطنيّة، ولا عن السير والسلوك. بل هي تشبه العرفان في الظاهر، وهذا ما نطلق عليه اسم العرفان الكاذب الذي يتمحور في الغالب حول الأمور الدنيويّة، أي الذي يسعى نحو السكون، والسرور الظاهريّ، والأحوال الحسنة. قد يُسرّ الإنسان، تارةً، جرّاء سماع موسيقى معيّنة، وقد يعجبه القيام ببعض الحركات الجسمانيّة، كاليوغا مثلًا، فيُطلق على ذلك اسم العرفان أو المعنويّات، علمًا أنّ هذه الأمور ليست عرفانًا، إذ العرفان عبارة عن معرفة باطنيّة لهذا العالم، هو معرفة الله عن طريق تهذيب النفس. هذا ويجب أن يكون تهذيب النفس مبنيًّا على تعاليم الشريعة.

ينجم العرفان الصحيح عن الأديان التوحيديّة فحسب، وبما أنّ الأديان الإلهيّة أصيبت بسوء الفهم وسوء التفسير بفعل مرور الزمن، شهد العرفان خفوتًا، فظهر التثليث في العرفان المسيحيّ، وأصبح كلّ من الرهبنة، والانزواء المطلق، والابتعاد عن الدنيا، جزءًا من الدين المسيحيّ، وقد أرخى هذا الأمر بظلاله على المجتمعات الإسلاميّة، فأصبحت الفِرق الصوفيّة تتّبع الرهبنة والانزواء.

وكما أنّ في الإسلام مذاهب فقهيّة وكلاميّة مختلفة، كذلك في الإسلام أنواع متعدّدة من العرفان، علمًا أنّ العرفاء المسلمين السنّة أقرب إلى الشيعة – من الناحية العقائديّة – من المتكلّمين والفقهاء. ويعزى سبب ذلك إلى أنّ الولاية مبنًى من مباني العرفان الأساس، وهي في الأصل عقيدة شيعيّة. لا معنى للولاية في منظومة الخلافة، ولا مكان للولاية في النظريّة السنّيّة. أمّا التشيّع فقد قدّم أفضل تعريف لمفهوم الولاية. وصحيح أنّ العرفان الإسلاميّ قريب من الفكر الشيعيّ، لكن لا يمكن الادّعاء بأنّه عرفان شيعيّ خالص.

أمّا عن العرفان الشيعيّ فيجب القول بأنّ العرفان الخالص في المذهب الشيعيّ موجود وممكن الحصول. والمقصود به هو ذاك العرفان الخالص الذي ينشأ من **القرآن**، والسنّة، وتعاليم المعصومين، عليهم السلام. يعتقد المسلمون، كلّ المسلمين، بالتوحيد، إلّا أنّ موضوعة الولاية تعليم إسلاميّ جرى الاهتمام به عند الشيعة فحسب، وكما أنّ مفهوم الولاية واضح في التشيّع فكذلك مصاديقه، وهم الأئمّة، عليهم السلام.

---

[5] سورة **التوبة**، الآية 120.

وفي معرض الحديث عن العرفان الشيعيّ، هل المقصود به هذا الظهور الخارجيّ الموجود في المجتمعات الشيعيّة؟

الأشكوري: المقصود هو العرفان النابع من التعاليم الشيعيّة، والتعاليم أعمّ ممّا هو ظاهر في **القرآن**، والأحاديث، وما يتجلّى في شخصيّة المعصومين، عليهم السلام. وبعد، إذ للعرفان مصدرَين اثنَين، كما هو حال الفقه والتعاليم الدينيّة كلّها. أمّا الأوّل فهو المصدر المكتوب، والمنقول القوليّ والتدوينيّ، والثاني هو الذي نسمّيه السيرة. فإنّ عين وجود شخصيّة الرسول الأكرم، صلّى الله عليه وآله، مصدر للعرفان الإسلاميّ، وكذا وجود الأئمّة، عليهم السلام. وإذا فرضنا أنّ الحسين، عليه السلام، نموذج للعرفان، فهل يتناسب ذلك مع الانزواء المطلق؟ لا يمكن لعرفان الحسين، عليه السلام، وهو صاحب ملحمة الطفّ، أن يكون لا مباليًا تجاه الظلم، وعدم العدل، وحاكميّة الجور، وغير ذلك. كما لا يمكن الفصل بين الدنيا والآخرة في العرفان الذي يكون أمير المؤمنين، عليه السلام، مصداقًا له. والفرد والمجتمع غير منفصلين عن بعضهما بعضًا. فعليّ، عليه السلام، الذي كان يُغمى عليه من شدّة عبادة الله وخشيته، هو بنفسه كان يحمل كيسًا على كتفه، يجول به على بيوت الأيتام. لا ينفكّ الاهتمام بأمور الناس عن هذا العرفان، فالعرفان عنده لا ينحصر بالذكر والصلاة. هذا وكان عليّ، عليه السلام، يشهر سيفه في ساعات الحرب، وما هذا إلّا جزءًا من العرفان. والعرفان الذي يُختصر بالذكر في الخلوات عرفان ناقص، اتّخذ بُعدًا وأغفل عن أبعاد كثيرة أخرى.

والخلاصة أنّ العرفان الشيعيّ هو الذي يتّخذ من الرسول، صلّى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والأئمّة المعصومين، عليهم السلام، قدوةً. والقدوة هنا تتمثّل في **القرآن**، وشخصيّة المعصومين، وكلامهم، وبيانهم، وسلوكهم، عليهم سلام الله.

أشرتم إلى أنّ العرفان الشيعيّ يعود إلى نصوص الوحي وسيرة المعصومين، عليهم السلام، العمليّة. فهل بالإمكان توضيح خصائص هذا العرفان وميّزاته؟

الأشكوري: الخاصّيّة الأولى الذي يتّصف بها العرفان الشيعيّ هي أنّه ليس شيئًا آخر غير تعاليم الإسلام. ما يعني أنّه يجب على العرفان الحقيقيّ هو ذاك الذي لا يضيف إلى الدين كلمةً واحدةً، ولا ينقص منه كلمةً. ولعلّ هذه العبارة بسيطة، ولكن إذا عدنا إلى تاريخ الفِرق لشاهدنا كمّيّة المشاكل التي ظهرت، إذ بدى أنّ التديّن شيء والعرفان شيء آخر. إذًا، خاصّيّة العرفان الإسلاميّ الأصيل الأولى هي أنّه يخلو من كلّ عقيدة وآداب سوى

عقائد الإسلام الأصيل وآدابه، ولذلك كان أفضل العرفاء أفضل المتديّنين. وتعدّ هذه الخاصّيّة غايةً في الأهمّيّة، بمعنى أنّه يجب تصفية البدع التي دخلت على العرفان الشيعيّ وتهذيبها. إنّ حالات البدع ليست جزءًا من العرفان الشيعيّ الأصيل. لذلك يجب دراسة مصدر كلّ سلوك وكلّ اعتقاد، والبحث عن منشئه في **القرآن** والسنّة، والاطّلاع على تعاليم الإسلام التي ينطبق عليها.

قد يقال تارةً إنّ الموضوع والسلوك الفلانيّ لا يرتبط بالشريعة بل بالطريقة، وهذا يدلّ على وجود انحراف في العرفان. العرفان ليس شيء آخر غير الدين، بل هو الدين ببعده الباطنيّ. فالعرفان هو المستوى العميق من الدين الذي يُطلق على ظاهره اسم "الشريعة".

وبالتالي الشريعة ظاهر الدين، والعرفان باطنه، فإذا أطلقنا على هذا الباطن اسم الحقيقة بدل العرفان، يجب، حينها، أن لا نفهم من ذلك تضادّه واختلافه مع الشريعة.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الشريعة موجودة في مراحل حياة المتديّن كلّها، بالطبع قد يتوقّف بعض المتديّنين عند المستوى الظاهريّ، ولا يقتربون من الباطن، إلّا أنّ هذا الطريق مفتوح، على الدوام، أمام الجميع. والعارف فحسب هو الذي يجتاز ظاهر الدين إلى باطنه. لذلك يمكن القول بأنّ كلّ عارف متديّن، ولكن ليس من الضروريّ أن يكون كلّ متديّن عارف. قد لا يعيش بعض المتديّنين تجربةً باطنيّةً وداخليّةً، فتقتصر معرفتهم على الاعتقاد الظاهريّ ورعاية الأحكام. وصحيح أنّ هذا المستوى هو الحدّ الأدنى من الدين إلّا أنّه مقبول. فالدين لم يلزم المتديّن باكتساب العرفان، إلّا أنّه حضّ على ذلك، ويحتاج هذا الأمر هذا الأمر إلى همّة خاصّة. كما أنّ العرفان من العشق بمكان، فلا يمكن لشخص ما أن يصبح عارفًا من دون العشق، ومن دون الانجذاب إلى الجمال الإلهيّ، والاكتفاء بالأوامر والنواهي الإلهيّة. هذا الطريق مفتوح وبيّن، وهو يتعلّق إمّا بالفرد المتوقّف عند الظاهر، أو ذاك الذي يسعى إلى دخول الباطن.

قد يلتبس الأمر عند البعض، لذلك حاولوا الفصل بين الظاهر والباطن، وجعلوهما غير متناسقين، وقسّموا الناس إلى مجموعتين، الأولى أهل الظاهر، والثانية أهل الباطن. ويعدّ هذا التقسيم خطأً، ويكمن السبب في وجود مجموعتين: الأولى أهل الظاهر، والثانية أهل الظاهر والباطن. وليس صحيحًا أنّ بعضهم أهل ظاهر، وبعضهم الآخر أهل باطن لا يتناسب مع الظاهر؛ لأنّ هذا الأمر هو العداء للدين الذي نسب إلى بعض المتصوّفة. إذ يقول هؤلاء إنّنا أهل باطن، ولا علاقة لنا بالظاهر. أمّا الباطن البعيد من الظاهر والشريعة فباطل طبق الرؤية الإسلاميّة الأصيلة، ولا وجود له.

إذًا، الأصل هو التطابق الكامل مع تعاليم الدين والشريعة وأحكامهما، أمّا في ما يتعلّق بالفروع، فثَمَّ فيض من الكلام. العرفان الشيعيّ، على سبيل المثال، ليس عرفان الانزواء والابتعاد عن الدنيا، علمًا أنّ للخلوة والعبادة أهمّيّة خاصّة فيه، العرفان حياة، ومجتمع، ومسؤوليّة. ويمكن للعرفان أن يرتبط بالسياسة، والحرب، والجهاد، إذا توافرت شروطه. فالعرفان ليس مجرّد انزواء وذكر فحسب. العرفان الشيعيّ هو الذي يشكّل المعصومون، عليهم السلام، محوره وقدوته، لا غيرهم. فإذا كان الحديث في بعض الفِرق عن القطب، والشيخ الواجب الطاعة، والذي يجب الاستماع إليه على كلّ حال، فهذا لا يمتّ إلى العرفان الشيعيّ بصلة. لأنّ هذه الحالة تصدق في التعاطي مع المعصوم فحسب، وأمّا غير المعصوم فلا يستحقّ الطاعة المطلقة. إذا كنّا نتّبع الفقيه ونقلّده، فذلك في الأحكام الفرعيّة، وهي ليست طاعةً عمياء. وإذا أيقن الفرد بأنّ الفقيه قد أخطأ، يجب عليه، إذ ذاك، عدم اتّباعه. لذلك، فإنّ مقولة بعض الفِرق بأنّ المريد في مقابل المرشد والشيخ "كالميت بين يدي الغسّال" مقولة خاطئة، وهي مسألة دخلت ثقافة بعض الفِرق الصوفيّة من الخارج. نعم، لقد أساء البعض استخدام هذه الحالة، فدفعوا المريدين نحو الطاعة المطلقة حتّى لو كان المرشد على خطأ، وهذه عقيدة منحرفة كلّ انحراف.

يلاحَظ عند دراسة طريقة العرفان، وعرفاء الشيعة والمسلمين، ظهور طيف واسع من الشيعة والمسلمين بين العرفاء، منهم المزارع، والكاسب، والقصّاب، والعالِم، والمتعمّق في العلوم الدينيّة. أمّا في ما يتعلّق بالأديان الأخرى كالمسيحيّة، مثلًا، فالظاهر أنّ عنوان العارف خاصّ ببعض الخواصّ، إذ ما من علاقة بين عموم الناس والعرفان، فهل يمكن القول، إذًا، إنّ عموم العرفان لجميع طبقات المجتمع خاصّ بالإسلام وحده، حيث يسمح الإسلام للجميع ممارسة الحياة والسلوك عن طريق المعنويّات؟

الأشكوري: العرفان في الإسلام غير مختصّ بصنف أو بطبقة خاصّة، بل قد يكون الأمّيّ عارفًا، كذلك الفيلسوف والمجتهد يمكن أن يصبحا عارفيَن، ولهذا علاقة بمقدار طهارة الباطن. ثمّة كثير من المصاديق العمليّة على هذا العرفان. وكذا كان الحال حتّى في زمن الرسول، صلّى الله عليه وآله. فعلى سبيل المثال، سأل الرسول، صلّى الله عليه وآله، الحارث بن اليمان، عن قدرة أويس القرني الذي كان يعيش في اليمن، وهو من هو في مقامه، على وصل الليل بالنهار بالعبادة، فقال الحارث إنّه يشاهد العرشيّين في العرش، وأهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار، فطلب منه الرسول، صلّى الله عليه وآله، أن يحافظ على هذه الحالة. هذا هو العرفان الذي قد يصل إليه عامل، أو امرأة تعمل في بيتها، أو عالم دين كذلك، فطريق المعنويّات غير مشروط بالعوامل الخارجيّة.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّه كلّما ازداد علم الإنسان دخل هذا العالم برؤية أوسع، وتمكّن من طيّ هذا المسير بسرعة. ليس صحيحًا أنّ سرعة العالِم وغير العالِم سواء. الشرط الأوّل في العرفان هو الإخلاص وحضور القلب، ومن ثمّ يمهّد العلم الطريق، وينجي من الانحراف فيه. يقدّم العلم مساعدات كبيرة، ولكن لا يمكن القول بأنّ عدم الوصول إلى مراتب علميّة يغلق الباب أمام السالك. باب العرفان مفتوح على الدوام، وما يحتاج إليه الإنسان هو قلب طاهر، ونيّة خالصة، ورأسمال من الوجود الإنسانيّ، ويتوقّف هذا على مقدار الهمّة التي يتمتّع بها المريد.

ليس العرفان في الإسلام شغلًا أو مهنةً. نذكر في هذا السياق أن ثَمَّ فرقة في المسيحيّة يُطلق عليها اسم المانك، وهم جماعة تركوا الحياة وسكنوا الصوامع للعبادة. لم يشجّع الإسلام على هكذا حالات، لا بل بعض النصوص تذمّ ذلك، علمًا أنّ الوضع في المسيحيّة كان على هذا النحو دائمًا.

ثَمَّ بحث في المسيحيّة يتناول قصّةً وردت في الإنجيل حول أختَين، إحداهما مري، والأخرى مرسا، كانت مرسا من أصحاب الخدمات الاجتماعيّة، أما مري فكانت من أهل العبادة، بحث البعض في تفاضل هذين العملين. فقالت طائفة بأفضليّة الخدمة، وأخرى بأفضليّة العبادة. وقالت فئة ثالثة إنّ الكمال يكمن في الجمع بين هذا وذاك. وهذا هو الكلام الحقّ. ما يعني أنّ العمل، والمراقبة، والعبادة، والخدمة، أمور لا تنفكّ عن بعضها بعضًا، هي واحدة في عينها. بالطبع هذه الإشكاليّة غير موجودة في الإسلام، لأنّ النصّ الصريح يبيّن أنّ ﴿الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[6]. ما يعني أنّ الإيمان والعمل الصالح لا ينفكّان عن بعضهما. والعمل الصالح ليس عبادةً محضةً، بل للعمل الصالح بعدان: البعد الأوّل هو العبادة، والبعد الثاني هو الخدمة. وورد في **القرآن الكريم**: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[7]، أي إنّ **القرآن الكريم** صرّح منذ البداية أنّ المتّقي هو الذي يؤمن ويعبد، وكذا يهتمّ بالخلق.

أكّدتَ أنّ طريق العرفان مفتوح أمام الجميع، حيث يمكن لكلّ شخص الحركة فيه مهما كانت وظيفته، ومهما كان عمله. فكيف يمكن الجمع بين الوظائف العمليّة والاجتماعيّة، من جهة، والعرفان، من جهة أخرى؟ وقد يتصوّر البعض أنّ بعض الأعمال أقرب إلى العرفان من الأخرى، والأفضل أن يغيّر الشخص عمله في هذا الاتّجاه. فماذا تقولون؟

---

[6] سورة **العصر**، الآيتان 2 و3.

[7] سورة **الأنفال**، الآية 3.

الأشكوري: يمارس البشر كافّةً هذا السنخ من الوظائف الاجتماعيّة. فبعضهم يعمل في المنزل، والآخر عسكريّ، والثالث معلّم، والرابع سياسيّ. ولا يصحّ القول بأن ثَمَّ مجموعة تعمل في العرفان وهم عرفاء. لا وجود في الإسلام لهكذا مفهوم، فالعرفان ليس مهنةً إلى جانب المهن الأخرى، حتّى أنّه لا يمكن للعالِم المشغول بمسألة التعليم والتعلّم أن يغفل عن هذه المهمّة وأن ينزوي للعبادة. صحيح أنّه غير مسؤول عن شقّ الطرقات، إلّا أنّه مكلّف بأداء عمل التعليم أداءً صحيحًا. فما من عمل يمنع السير المعنويّ، والسير المعنويّ ليس في عرض الأعمال الأخرى. ما يعني أنّه لا ينبغي علينا إيقاف حركة الحياة إذا أردنا الحصول على المعنويّات. لا ريب أنّ الله تعالى أمرنا بتأدية المقدار المطلوب والضروريّ، إذ أمرنا بأداء الصلاة خمس مرّات في اليوم، على سبيل المثال، مضافًا إلى النوافل المستحبّ إقامتها لمن يرغب. ولكن يجب الإشارة إلى أنّ مجموع الفرائض والنوافل يحتاج إلى مدّة قصيرة إذا ما قارنّا ذلك بمجموع الساعات التي يكون الإنسان فيها حرًّا يؤدّي مسؤوليّاته ووظائفه الفرديّة، والعائليّة، والاجتماعيّة. يضاف إلى ذلك أنّ صيرورة الإنسان عارفًا ليس مخصوصًا بزمان الصلاة، إذ يصبح الإنسان عارفًا أثناء العمل، ويصبح عارفًا وهو يمارس هوايته الرياضيّة، إلى غير ذلك. أي إنّ الذي يضفي قيمةً معنويّةً على العمل ليس قالب ذاك العمل، بل يكمن الجوهر في الروحيّة والنيّة. قد تكون قيمة عمل عاديّ أكبر بكثير من قيمة عمل عباديّ في الظاهر. يقول بابا طاهر: "طوبى لمن كان، على الدوام، في حالة صلاة"، فإذا كان المقصد من هذا القول وجود مجموعة من الناس منشغلةً، ليل نهار، بالصلاة وبتأدية الفرائض العباديّة فهذا كلام لا طائل منه. لا يمكن أن يكون الشخص مشغولًا بالصلاة ليل نهار. نعم، هو يقصد من ذلك أن هنيئًا لمن كان ذاكرًا له تعالى على الدوام. وصحيح أنّ الصلاة ذكر لله، ولكن يجب على الإنسان أن لا يوقف أعماله كافّةً بغية ذكر الله. فالعمل الحسن الذي يقوم به الإنسان، كيفما كان، هو ذكر لله سبحانه. لا يمكن اختصار ذكر الله بالذكر اللسانيّ فحسب، بل ثَمَّ الذكر القلبيّ الذي يمكن أن يكون مستمرًّا، بلا هوادة، ولا يتداخل مع أيّ عمل. ذكر الله من جملة الأمور التي لا تتعارض مع أعمال الإنسان الأخرى كلّها. ولا يتعارض ذكر الله مع أيّ حالة من الذكر الذهنيّ، بل الذكر يساعد في المزيد من التركيز، و ذكر الله جوهر العرفان.

نرى بعض الشباب يقول إنّ العرفان والمعنويّات أمور جذّابة، وأنّهم، أنفسهم، ذهبوا بدايةً واختاروا أعمالًا ومشاغل، وبعد ذلك تخلّوا عنها بغية التحصيل في الحوزات العلميّة بهدف الحصول على اللذائذ المعنويّة، فما هو رأيكم؟

الأشكوري: أكّد الإسلام أنّ قيمة الأعمال تكمن في النيّات. وما من دليل يجعل من عملي الذي هو الدرس الدينيّ ذو قيمة أكبر عند الله من الذي يعمل في مزرعته. لا وجود في الإسلام لهكذا أمر على الإطلاق. النيّة هي التي تضفي القيمة المعنويّة على العمل. وعليه فإنّ العبادة والمعنويّات ليست أمورًا تتأتّى من أعمال خاصّة. بالتأكيد، وكما أشرت، لا بدّ من وجود الحدّ الأدنى من التكاليف والعبادات التي يجب أن يؤدّيها المؤمنون جميعًا. وأمّا باقي الأعمال والمسؤوليّات الملقاة على عاتق الإنسان، فهي أمور واجبة، إلّا أنّ وجوبها كفائيّ. تصبح هذه الأمور بمنزلة العبادة إذا أدّاها العبد بنيّة العبوديّة، وتؤدّي، بالتالي، إلى ارتقاء الإنسان المعنويّ. يُمكن للإنسان أن يرتقي على الصعيد المعنويّ وهو يدرس الهندسة كما لو كان يدرس علومًا دينيّةً. إنّ الذي دفع نحو هذا الجدال وجود بعض الفِرق التي تدعو إلى هيئة خاصّة، ولباس خاصّ، واسم خاصّ، كالذهاب إلى الصوامع والخانقاهات، وأمثال ذلك، إلّا أنّ هذه الأمور لا تتناسب والحياة العادّيّة، لأنّه، وبناءً على تلك الحالات، يجب أن ينفصل الشخص عن المجتمع، ويقيّد نفسه ببعض القيود، ويصبح عضوًا في فرقة خاصّة.

في الحقيقة، لا مكان في المذهب الشيعيّ لهذا النوع من التصوّف والعرفان، لأنّه عرفان ناقص، فقد يكون المرء ذاكرًا لله، إلّا أنّ ذكره ناقص، لأنّه ذو بعد واحد. وبالتالي فعرفانه ناقص، حتّى لو كان غير منحرف. وثَمَّ فِرق تمتلك عرفانًا ناقصًا مع أنّها غير منحرفة على مستوى العقائد، لأنّ القدوة والأسوة في هذا الإطار هو الرسول، صلّى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار، عليهم السلام.

أين تكمن جاذبيّة العرفان؟ وهل يمكن أن تكون مجالات الدين الأخرى أكثر جاذبيّةً؟

الأشكوري: إنّ وضع العرفان في عرض أجزاء الدين الأخرى عمل غير صحيح. لا يمكن أن يكون ثَمَّ فقه وعرفان، ثمّ يذهب بعض الدارسين نحو الفقه، وبعضهم الآخر نحو العرفان، إنّ هذا الفصل غير صحيح من الناحية العمليّة. فيجب على العارف أن يكون من أصحاب الفقه أوّلًا، وقبل الفقه يجب أن يكون من أصحاب العقائد. ما من عرفان من دون فقه، وما من فقه من دون عقائد. ويجب أن يكون العارف من أصحاب الأخلاق قبل الفقه. ما يؤسف له أنّ الأفراد في مجتمعنا، وبسبب التربية الدينيّة الخاطئة والناقصة، يسعون ليكونوا عرفاء قبل أن يكونوا متديّنين وأخلاقيّين! أعتقد أنّ الأخلاق مقدّمةَ، لأنّ الأخلاق أمر نرجوه حتّى ممّن لا دين له. نحن لا نتوقّع من الذي لا دين له أداء الصلاة، إلّا أنّنا نتوقّع منه رعاية الضوابط الاجتماعيّة وحقوق الأفراد، نتوقّع منه أن لا يسرق ولا يكذب، وأن يطبق ضوابط قيادة السيارة مثلًا. إذًا، نحن نتوقّع هذه الأمور الأخلاقيّة من كلّ إنسان، ويجب على كلّ إنسان أن يكون كذلك. ثمّ إنّنا نرتقي خطوةً أعلى من ذلك، ونقول: بعض الناس يؤمن

بالدين. يضع الدين على عاتق الإنسان تكاليف أكثر من التي تضعها الأخلاق، والدين يشجّع على التكاليف الأخلاقيّة ويؤيّدها ويؤكّدها. إذًا، المرتبة الثانية هي التديّن، أي العيش في إطار الأحكام الإلهيّة. إذا تمكّن الشخص من عبور هاتين المرحلتين بنجاح، عند ذلك نصل إلى المرتبة اللاحقة، وهي الدخول إلى باطن الدين، وهو العرفان.

ثَمَّ دليلان على جاذبيّة العرفان. قد تكون الجاذبيّة كاذبة، وهي أن يمتلك الشخص تصوّرًا غير صحيح عن العرفان، فيكتفي بسماع أبيات شعريّة تُروى عن حافظ ومولوي، ويُعجب ببعض الكرامات التي من الجيّد أن يمتلكها الإنسان. ثَمَّ تصوّر خاطئ رائج بين الناس، إذ يظنّون أنّ العرفان عبارة عن التحرّر من التكاليف. وهذه الجاذبيّة جاذبيّة كاذبة، وهي بعيدة كلّ البعد من الجاذبيّة الحقيقيّة، هذا ما أشار إليه حافظ عندما قال: "العشق يبدو سهلًا في بداية الأمر، إلّا أنّ الصعوبة تكمن في الوقوع فيه"[8].

ثَمَّ الكثير من الناس الذين يسيرون ويسلكون بشوق وحرارة بهدف الوصول إلى المقامات العرفانيّة، إلّا أنّهم أثناء المسير يلتفتون إلى صعوبته ومشقّته، وحينها يجب القضاء على الأهواء النفسانيّة ولجم الشهوات. الرائج اليوم بين المجتمعات هو البحث العرفانيّ، لا حقيقة العرفان وجوهره.

ما هو الأمر المقدّس المذموم؟

الأشكوري: المقصود من العرفان المذموم هو أن يصبح الشخص متشرّعًا من دون التخلّق بالأخلاق الإنسانيّة. وهذا يعني أن يعمل الشخص على رعاية الواجبات والمستحبّات من دون أن يهتمّ لحقوق الناس، وأن يسهر الليل في عزاء أهل البيت، عليهم السلام، من دون أن يراعي قوانين قيادة السيّارة، أو أن يكون سيّء الخلق. على الإنسان أن يراعي حقوق الآخر حتّى لو كان غير متديّن، فكيف إذا كان متشرّعًا. لن تعوّض المشاركة في العزاء واللطم على الإمام الحسين، عليه السلام، تلك المخالفات، ولن تكون بديلًا عنها. إذ امتلك الشخص الهمّة ليكون عارفًا فعليه رعاية أحكام الدين والأخلاق الإسلاميّة، ومن ثمّ يمكنه السير نحو العمق والباطن، فيصبح، إذ ذاك، عارفًا.

الحقيقة أن ثَمَّ رؤية مخالفة للعرفان بين الشيعة، حتّى أنّها منتشرة بين علماء الدين، ما هي العوامل التي ساعدت في وجود هذه الرؤية السلبيّة تجاه العرفان بين علماء الدين؟

---

[8] "كه عشق آسان نمود اوّل، ولى افتاد مشكل ها".

الأشكوري: ثَمَّ أسباب عدّة، الأهم من كلّ شيء هو وجود صورة وتفسير غير صحيحين للعرفان. **أوّلًا**: يجب التأكيد على أنّ العرفان ليس في عرض الفقه والأحكام والعقائد، بل هو باطنها. يمكننا أن نحدّث علماء النقل المتشرّعون بأنّه كما لآيات **القرآن** والأحاديث ظواهر، فهي لها بواطن أيضًا. وبعبارة أخرى، هل يمكن اعتبار المعرفة التي حصّلها الرسول، صلّى الله عليه وآله، من خلال هذه الآيات، مساوية لمعرفة الشخص الذي لا يعرف سوى معاني الكلمات العربيّة أو يدرك شيئًا من الصرف والنحو العربيّ؟ الواضح أنّه لا اختلاف في ظاهر هذه الآيات والروايات، حتّى لو قام الرسول، صلّى الله عليه وآله، بترجمتها فلن يختلف الأمر. فإذا كنّا نقول بالظاهر فحسب، عند ذلك لن تختلف معرفة الرسول، صلّى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار، عليهم السلام، عن معرفتنا عندما نستحضر قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[9]. يدرك كلّ عالم أنّ هاتين المعرفتين ليستا في مستوًى واحد. إذًا، ما هو الأمر الذي يمتلكه الرسول، صلّى الله عليه وآله، ولا نمتلكه نحن؟ إذا كان الأمر عبارة عن اللغة، فإنّ بإمكاني امتلاكها. إذًا هو الباطن الذي لا يمكن أن أحصل عليه من خلال اللغة ومن خلال الظاهر. فقد كان قلب الرسول، صلّى الله عليه وآله، يسعى للاتّصال بذاك الباطن. يحتاج هذا الأمر إلى طهارة باطنيّة، وكلّما ازدادت تزداد معرفة الحقيقة. بالطبع يحصل الآخرون على مستوًى أدنًى من هذه المعرفة.

في الحقيقة، لم تُقدّم صورة صحيحة عن العرفان، بل جرى الحديث عنه باعتباره حالةً ومذهبًا منفصلًا عن الدين. يظنّ الكثيرون أنّنا وكما نمتلك فرقًا إسلاميّةً مختلفةً، هناك نحل وفرق عدّة تأخذ مسمّى العرفان، وهي تختلف عن بعضها بعضًا، وقد ساهمت الأحداث التاريخيّة في رواج هذا الظنّ.

شهد التاريخ الإسلاميّ وجود فِرق صوفيّة منحرفة على المستوى العقائديّ. ثمّ دفعت مشاهدة هذه الفِرق بالمتشرّعة إلى القول ببطلان طريق الباطن واعتبروه خارجًا عن الدين.

من جملة الأدلّة التي ساهمت في سوء الظنّ بالعرفان هو أنّ العرفاء يتحدّثون بلسان الرمز والإشارة، وهنا بحث مفصّل. بل ثَمَّ أسباب عدّة دفعت نحو لغة الرموز والإشارات، إلّا أنّ النتيجة هي أنّ كلام العرفاء غير مباشر، وغير قابل للفهم عند العوامّ. هذا ما دفع إلى وجود حالة كبيرة من سوء الظنّ بالعرفاء. فمثلًا من أهمّ بحوث العرفاء بحث وحدة الوجود، فإذا كانت معرفة الإنسان بهذا المفهوم في حدود هذه الألفاظ، عند ذلك سيكون ظاهره مخالفًا للدين. لأنّ ظاهر هذا المفهوم يشير إلى أنّ وجودنا ووجود الله واحد، أمّا الحس والعقل والدين

---

[9] سورة **الحمد**، الآية 5.

فيتحدّثون عن أنّه في الكون حقائق كثيرة ومتعدّدة، فكيف تغفلون عن هذه الحقائق وتقولون بوجود واحد! علمًا أنّ العرفاء المسلمون لم ينكروا الكثرة. يقرّ العرفاء بالكثرة، وكذا يقرّون بالوحدة. يتحدّث العرفاء انطلاقًا من الباطن، ويقولون إنّ حقيقة الوجود واحدة، وإنّ الموجودات، كلّ الموجودات، ما هي إلّا فعل ومظهر لتلك الحقيقة. أنتم تشاهدون أنّ العارف لا ينكر وجود الحقائق، إلّا أنّ الألفاظ التي تستخدم في الإشارة إلى ذلك تتطلّب من الشخص أن يقضي عمره في البحث عنها وفي فهمها، وهذا ما يؤول إلى سوء فهم أحيانًا.

لماذا كان إدراك كلام العرفاء وقبوله صعبًا بحيث أدّى إلى استنتاجات خاطئة؟

الأشكوري: يمكن الإطلالة على هذا الموضوع بشكل آخر، والقول بأنّ ثَمَّ علم جديد يطلق عليه اسم العرفان، وإذا أردنا التعرّف إليه لا بدّ لنا من أن نطّلع على مصطلحاته الخاصّة، ويجب علينا أن نتعرّف إلى لغته، فإذا عرفنا ذلك أمكننا الاطّلاع على العرفان، وامتلكنا صورةً صحيحةً عن موضوعه، وأصبح بالإمكان إصدار الأحكام حوله. أمّا عدم المعرفة فلن يؤول بنا سوى إلى التمسّك بالظاهر. وإذا كان للعرفان لغة خاصّة، فهو بالإضافة إلى ذلك يتحدّث بلسان الرمز والإشارة لأسباب معيّنة لا مجال للحديث عنها هنا.

نحن نعلم أنّ المحقّقين الغربيّين بدؤوا منذ مدّة طويلة في البحث والتحقيق في العرفان الإسلاميّ، فهل ثَمَّ توضيحات حول الجهود الغربيّة في هذا الإطار؟

الأشكوري: يُعتبر التصوّف والعرفان الإسلاميّ من أوائل الساحات العلميّة التي دخلها العلماء غير المسلمين. إذ بدأ هؤلاء، ومنذ قرون عدّة، بدراسة العرفان، والتصوّف، والفِرق الصوفيّة. أمّا الأسباب التي دفعت علماء الغرب للبحث في العرفان الإسلاميّ فكثيرة. هل تعرفون أنّ الفِرق الصوفيّة كثيرة في أفريقيا (لا سيّما شمال أفريقيا)، حتّى أنّه بفضل هذه الفِرق الصوفيّة اعتنق الناس الإسلام، لذلك امتزج تديّنهم بالتصوّف. يضاف إلى ذلك أنّ الآثار الأدبيّة التي تركها العرفاء المسلمون، سواء باللغة العربيّة أو الفارسيّة، جذّابة إلى حدود بعيدة، إذ كان الناس يجذبون إلى جمال نصوص المثنوي، وأشعار حافظ، وابن عربي، وابن الفارض. وتكمن المسألة الأخرى في أنّ العرفان ظاهرة عالميّة، لها أشكال مختلفة باختلاف المناطق. لذلك كان العرفان الإسلاميّ جذّابًا لغير المسلمين وللمحقّقين، لذلك قدّموا الكثير من الدراسات في هذا الإطار.

كتب لويس ماسينيون L. Massignon، على سبيل المثال، عدّة مجلّدات حول الحلّاج باللغة الفرنسيّة، لم يتمكّن أحد من المحقّقين المسلمين من الإتيان بمثلها. ولا ننسى آثار هنري كوربان H. Corbin حول العرفان

الشيعيّ والفلسفة الإلهيّة الشيعيّة ذات البعد العرفانيّ. وكُتب الكثير من الكتب حول فلسفة السهروردي وفلسفة ملّا صدرا. ونجد، كذلك، ترجمة رينولد نيكلسون R. A. Nicholson للمثنوي، وأصبح هذا الأثر عالميًّا. إلى جانب هؤلاء، ثَمَّ الكثير من المستشرقين من أمثال آرثر آربري A. J. Arberry، وآن ماري شميل Annemarie Schimmel، وغيرهما ممّن ترك آثارًا قيّمةً حول العرفان الإسلاميّ، حيث قدّم كلّ منهم بُعدًا من أبعاد العرفان الإسلاميّ. عمل بعض من هؤلاء الباحثين على تاريخ العرفان الإسلاميّ، وعمل آخرون على الفِرق. وبحث أمثال توشيهيكو إيزوتسو T. Izutsu وويليام شيتيك W. Chittick في العرفان النظريّ. وبالطبع بما أنّ هؤلاء الباحثين كانوا يتردّدون على إيران فلذلك تركّزت أبحاثهم على العرفان النظريّ، أمّا الدول الإسلاميّة الأخرى فكان التركيز فيها غالبًا حول الفرق والطرق.

اهتمّ كثيرون بالعرفان، وما زالوا حتّى يومنا هذا. وفي الغرب دُوّن الكثير من الأطروحات والمقالات حول العرفان، وهو واحد من الأبحاث الحيّة في الغرب اليوم. والواضح أنّ الغرب اهتمّ بالعرفان الإسلاميّ أكثر من اهتمامه بالفلسفة على أساس أنّ العرفان أكثر جاذبيّةً من الفلسفة.

أين موقع العرفان الشيعيّ في هذا الخضمّ، وهل جرت دراسته بشكل مناسب؟

الأشكوري: لا، أعتقد أنّ العرفان الشيعيّ لم يُقدَّم بالأسلوب اللائق، سواء في بلدان أخرى، أو حتّى في مجتمعنا. يحتاج عرفان اليوم إلى كثير من التهذيب. يحتاج العرفان اليوم للرجوع به إلى الكتاب، والسنّة، وسيرة المعصومين، عليهم السلام، وإلى التجارب الكثيرة التي وجدت طوال التاريخ. يجب أن نتمكّن بواسطة هذا التهذيب من إظهار حقيقة العرفان الإسلاميّ غير البعيد من العقلانيّة، ومن التديّن، ومن الحياة الاجتماعيّة. هذا ما يجب أن يحصل، لأنّ العرفان يُقدَّم اليوم على أنّه معارض للعقلانيّة، أو معارض للتديّن، أو للحياة الاجتماعيّة، مع العلم أنّ العرفان الشيعيّ عرفان عقلانيّ ووحيانيّ، فهو لا يتعارض مع التديّن، لا بل يمكن القول بأنّه جوهر التديّن، وهو على ارتباط بالحياة الاجتماعيّة والدنيويّة. أمّا لغة العرفاء فيجب إخراجها عن حالة اللغة المغلقة المتخصّصة المنحصرة بفرقة خاصّة، لأنّ للعرفان الكثير من المؤيّدين، لذلك يجب تقديمه على المستويات كافّةً وبجميع اللغات، لا سيّما لغة الفنّ. وبهذا النحو نتمكّن من سدّ الفراغ المعنويّ الذي أوجده العرفان الكاذب، وما لم نبادر إلى هذا الأمر سينقاد الناس إلى عرفان كاذب، أو إلى شبه عرفان.

ومن جملة الأسباب التي تدفع البعض نحو العرفان الكاذب هي إمّا أنّنا لا نقدّم ما يحمل عنوان العرفان، وإمّا أن يكون ما نقدّمه غير جذّاب.

ما الذي يجعلكم تؤكّدون على المضمون وعلى البعد النظريّ أكثر من غيره؟

الأشكوري: بادئ ذي بدء يتعيّن علينا أن نعرف ماهيّة العرفان. فهل العرفان ظاهرة غير عقلانيّة، وغير أخلاقيّة، وغير دينيّة؟ هل التوجّه نحو العرفان يجعل الشخص بعيدًا عن الدين والفقه؟ للأسف تجد هذه الفروض من يروّج لها. يقول أحد المثقّفين المتنوّرين، وهو صاحب قلم جميل نافذ، إنّ الإسلام نوعين: الإسلام الفقهيّ والإسلام العرفانيّ. فإذا كان الإسلام العرفانيّ شيئًا آخر غير الإسلام الفقهيّ فهو ليس بإسلام. وإذا أنكر الإسلام الفقهيّ الإسلام العرفانيّ فهو ناقص. ففي الإسلام فقه وعرفان. لا يمكنك أن تختار الفقه من الإسلام وتترك العرفان، أو العكس، أو أن تترك العقلانيّة فيه مثلًا. بلى، تتجلّى العقلانيّة في الفلسفة، والنقل في الفقه، والشهود والتجارب الباطنيّة في العرفان. فهذه الأبعاد الثلاثة هي أركان المعرفة الدينيّة الثلاث، وإذا فُصلت عن بعضها بعضًا يبدأ الانحراف في الفهم. فلا معنى للعقلانيّة من دون معنويّات، وللمعنويّات من دون عقلانيّة، وللمعنويّات من دون ديانة وفقاهة، كلّ ذلك ناقص مجتزأ.

وعندما تتضايف هذه الأركان الثلاث لن يخالف الفقيه العارف، ولا العارف الفقيه، ولن يبحث الفيلسوف عن قطب آخر. فهذه الأركان حقيقة واحدة. بلى، قد يتوجّه كلّ شخص إلى تلك الحقيقة من منظار معيّن. يضاف إلى ذلك أنّ تقسيم العمل أمر علميّ ومعقول، وفي هذا الإطار يتوجّه البعض نحو البعد العقلانيّ، والآخر نحو البعد الفقهيّ، والثالث نحو البعد العرفانيّ.

ثَمَّ أعلام على غرار الإمام الخميني، قدّس سرّه، جمعوا الأبعاد الثلاثة في شخصيّاتهم، أو العلّامة الطباطبائي، الذي كان فيلسوفًا، وعارفًا، وفقيهًا. وبالتالي، لا وجود لتعارض وتناقض وعدم تناسب بين هذه الأمور، بل هي غاية في التناسب، ولو أسقطنا واحدةً منها لاختلّ الأمر، ووُجد النقص. نعم، يمكننا الحديث عن الإسلام، من الناحية التاريخيّة، من زاوية فقهيّة وعرفانيّة. بمعنى أنّ ثَمَّ رؤيتان إلى الإسلام راجتا عبر التاريخ، الأولى فقهيّة، والثانية عرفانيّة، لكنّ هذا لا يعني وجود شكلين اثنين للإسلام.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الحديث عن النماذج العمليّة هامّ على مستوى هداية المجتمع وإرشاده. قد يصحّ الحديث مع المجتمع بشكل نظريّ، ولكن عند الحديث عن المصاديق العمليّة، يلاحظ المجتمع أنّ هذه النماذج قد اعتزلت الحياة وابتعدت، أو افترقت عن التديّن والعقلانيّة. وبعبارة أخرى، يجب – وإلى جانب توضيح البعد النظريّ – تقديم نماذج عمليّة للمجتمع، يجب أن يشاهد الأفراد أنّ أشخاصًا في

الخارج عرفاء ويمارسون، في الوقت نفسه، حياتهم ومسؤوليّاتهم الاجتماعيّة وهم يفيضون بالتديّن والعقلانيّة، ليكونوا القدوة التي يجب اتّباعها.

الأشكوري: لحسن الحظّ أنّنا لا نعاني هذه المشكلة، مع أنّنا نعاني مشكلةً أخرى تكمن في تقديم القدوة. أوّلًا يُعدّ المعصومون، عليهم السلام، قدوتنا. وقد وصلنا الكثير من أخبارهم، وأقوالهم، وسيرتهم، فلا إبهام في ذلك. وكذلك تضع السيرة النبويّة بين أيدينا أفضل أنواع القدوة وأرفعها وأرقاها.

انظروا إلى **نهج البلاغة**، فهو يفيض بالعقلانيّة، والتديّن، والمعنويّات التي تجتمع في مكان واحد فحسب، ولا تنفصل عن بعضها بعضًا. **ونهج البلاغة** صورة عن شخصيّة الإمام أمير المؤمنين، عليه السلام. لو أخذنا مقطعًا من حياة الإمام عليّ، عليه السلام، في مدّة أربع وعشرين ساعةً لوجدناه مليئًا بالخدمة، والعبادة، والسياسة، والقضاء، لا بل ينضح بكلّ شيء. يضاف إلى ذلك أنّنا سنجد القدوة بين تلامذتهم أيضًا. وفي العصر الراهن، تتمثّل أمامنا القدوة في شخصيّة الإمام الخميني، قدّس سرّه. فالإمام، قدّس سرّه، كان أستاذًا في العرفان، وفقيهًا، وعارفًا، وفيلسوفًا. وهو، بالإضافة إلى ذلك، مؤسّس ثورة ونظام إسلاميّ تمكّن من هزّ العالم. تعدّ شخصيّة كهذه النموذج الأبرز لتلك الأهداف. ولذلك فلنبدأ التعريف بهذه القدوة وتقديمها للمجتمع، فهي ماثلة أمامنا. ما يؤسَف له أنّ العرفان عند بعض المقدّسين يختصر على مجموعة من الكرامات العجيبة الغريبة. فإذا أرادوا تعظيم شخص، قالوا إنّ لفلان كرامات! علمًا أنّ هذه الأمور لا تعبّر عن حقيقة العرفان. حتّى أنّ العرفاء والعظماء الذين تُنقل عنهم هذه الكرامات هم لا يأخذوها بالاعتبار. فالعارف هو الذي يبذل جهوده بغية القرب من الله تعالى، لا في سبيل هذه الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان، والأكثر عرفانًا هو الذي يكون أكثر تديّنًا وأكثر معرفةً بالدين.

إذًا، هذه هي النماذج العظيمة في العصر الراهن، فلنعمل على تقديمها والتعريف بها. طبعًا الشرط الأوّل في هذا العمل، هو تقديم هذه الشخصيّات بألسنة متعدّدة. قد تلاحظون بأنّ شاشات التلفزة تبثّ أحيانًا مسلسلًا حول المعنويّات الشرقيّة، مثلًا، ولا يدرك القيّمون عليها أنّهم يروّجون بشكل غير مباشر للثقافة الشرقيّة والعرفان الشرقيّ على أساس جاذبيّة المسلسل التلفزيونيّ وكثرة مشاهديه، ثمّ يغفلون عمّا يحمل هذا العمل التلفزيونيّ من رسائل عقائديّة وأيديولوجيّة. فلو كنّا نمتلك كتّابًا، ومخرجين، وفنّانين عارفين بحقائق الإسلام والتشيّع، ومعارف الإسلام والتشيّع، لكانوا ترجموا هذه الحقائق والمعارف في أعمالهم الفنّيّة، ولكان بإمكانهم تقديم الشخصيّات القدوة إلى الأفراد والمجتمع، وبالتالي الابتعاد عن الواردات الأخرى.

فمن الواضح، إذًا، أن ثَمَّ ضعف حقيقيّ في هذا الجانب، لا بل لا يلتفت الكثير من الشخصيّات الحقيقيّة والحقوقيّة من أصحاب المسؤوليّات في هذا الشأن إلى هذه الأمور. صدرت في السنوات الأخيرة دعوات شتّى تحذّر من العرفان الكاذب وأخطاره، ولكن لا يمكن لهذا الإشكال أن يُحلّ بمجرّد التحذير. كيف تقيّم عمل المتصدّي للشأن الثقافيّ والفكريّ في مواجهة العرفان الكاذب؟

الأشكوري: الحقيقة أنّ عالم اليوم، هو عالم العرض والطلب. قد تعرض في الأسواق بضاعة رديئة غلّفت بشكل جميل. وبالتالي، ينجذب الأشخاص القشريّون إلى الظاهر الجميل. ونحن نمتلك بضائع قيّمة المضمون والمحتوى، إلّا أنّنا لا نغلّفها بشكل جميل. وكذلك نعرض أفضل البضائع وأكثرها قيمةً في أردإ الأغلفة. وعليه، تفقد بضاعتنا القيّمة أهمّيّتها أمام البضاعة المزوّرة. هذا هو حال الاقتصاد.

نحن في إيران نمتلك أفضل أنواع الزعفران، والتمر، والفستق، والسجّاد، لكنّنا نخسر في المنافسة الخارجيّة، لأنّ التعليب والتغليف عندنا رديء للغاية، علمًا أنّ الآخرين يقدّمون بضاعةً مضرّةً بقوالب وأغلفة جميلة، لذلك يقبضون على السوق. يجب أن نسعى لحلّ مشكلة العرض، وعند ذلك يكتب لنا النجاح.

حتّى الآن لم نتمكّن من تقديم العرفان بشكل جيّد في حوزة قمّ العلميّة، فلا يزال في الحوزة الكثير من المعارضين للعرفان، ذلك أنّه لم يُقدّم بالأسلوب المناسب. وقد أدّى العرفان الرائج إلى نتائج وآثار حرّكت المعارضين والمخالفين ضدّ العرفان. يجب أن نقدّم ما نمتلك بلغات متعدّدة ومستويات مختلفة وبأسلوب قابل للفهم. بدايةً يجب أن يعرف مخالفوا العرفان ماهيّته، ومن ثمّ يمكنهم المخالفة عندما تكون مخالفتهم مبنيّة على علم.

أعتقد أنّه يجب مواجهة العرفان الكاذب بعيدًا عن المواجهة الأمنيّة، وبعيدًا عن الشعارات والكلمات النابية، لأنّ هكذا أمور تشجّع الأفراد على الانسياق وراء ذلك العرفان، ويكمن الحلّ بالمنافسة، وتقديم العرفان الصحيح والعرفان الإسلاميّ الخالص، وذلك بأسلوب جذّاب، ومؤثّر، وقابل للفهم. يجب أن نعرض العرفان بلغة الفلسفة، وبلغة الفنّ، وبلغة الروايات، وباللغة العلميّة والشعريّة في آن. فإذا كانت سلائق الناس مختلفة، وجب علينا تقديم المضمون الواحد بأساليب عدّة.

تبدأ الخطوة الأولى من عموميّة فنّ العرض، فيجب أن نمتلك هذا الفنّ أوّلًا. ثَمَّ كثير من العلماء في الحوزة العلميّة في قمّ من الذين اتّجهوا نحو العرفان، وهم أشخاص ناجحون، إلّا أنّهم ليسوا موفّقين على مستوى العرض.

هل لديكم مؤسّسة متخصّصة بالأخلاق والعرفان؟

الأشكوري: نعم ثَمَّ مؤسّسة، إلّا أنّ السادة يركّزون نشاطاتهم على الجانب العلميّ والمضمون التخصّصيّ، وقليلًا ما يهتمّون بمسائل العرض، ومخاطبة المجتمع، وسوق المعرفة، والاستفادة من الوسائل والأدوات للتأثير. هناك كثير من العلماء الأفاضل قدّموا أعمالًا عميقةً وقيّمةً، إلّا أنّها لا تسدّ النقص. وليست هذه الأعمال بجديدة. يجب الإشارة إلى أنّ التأثير العلميّ لا يحصل بالضرورة من خلال تدوين الكتب العلميّة والأكاديميّة فحسب، بل، كما أشرت، يجب الحضور في كلّ حقل: في الفنّ، والأدب، وغير ذلك، (في السينما، والرسم، والأفلام، والروايات، حتّى في الكتب الدراسيّة). يجب أن يتجلّى العرفان الشيعيّ في مجالات الحياة الاجتماعيّة كلّها.

إذًا، كلّ شخص مسؤول بمقدار طاقته؛ فأوّلًا، يجب العمل طبق طاقة كلّ شخص للوصول إلى حقيقة الدين، والانتقال من الظاهر إلى الباطن. وثانيًا، الالتزام بذلك عملًا، عند ذلك يصبح التديّن جذّابًا بما هو هو.

الأشكوري: نعم، خذ أمير المؤمنين، عليه السلام، مثلًا، هل يعجبنا سلوكه لأنّ شخصًا ما أمرنا بأن نعجب به؟ بالطبع لا، إنّ التأمّل في سلوكه هو بحدّ ذاته يثير الإعجاب والأنس. يمكن لكلّ شخص أن يعمل طبق طاقته للوصول إلى مستوًى عال من المعنويّات والباطن الدينيّ المتعالي، ثمّ يجسّم ذلك في داخله. فالمحبّة، على سبيل المثال، عنوان محوريّ في العرفان الإسلاميّ، حتّى إنّ التديّن لو لم يكن فيه إلّا المحبّة لكانت هي شديدة التأثير. ولو كان التديّن توأمًا للخشونة، وسوء الظنّ، والتكفير، والرمي بالفسق، وضيق النظر، لانصرف الناس عنه. وإذا فرضنا وجود مبلّغَين: أحدهما ينطلق من الأمل، والآخر من اليأس وسوء الظنّ، فالناس ستنجذب إلى الأوّل بلا ريب. نعم، المحبّة هي العامل الأساس في الجذب، وهو جذب في المستوى الأعلى. عندما تضعف المحبّة التي يجب أن تتجلّى في كلّ المجالات والحالات، عند ذلك ينساق الأفراد نحو العرفان الكاذب، والفِرق المنحرفة، ويبتعدون عن تعاليم الإسلام الصحيحة.